النشاط الروسي في قبرص بعد الحرب الباردة

وليد محمود احمد

مدرس مساعد/ قسم الدراسات السياسية والإستراتيجية / مركز الدراسات الإقليمية/ جامعة الموصل

مستخلص البحث

جذبت جزيرة قبرص اهتمام القوى العظمى خصوصا في القرنين التاسع عشر والعشرين مما جعلها ساحة لصراع النفوذ الإقليمي والدولي.

كان من الطبيعي أن تتحرك السياسة الروسية خلال الفترة القيصرية والسوفييتية، ومن ثم الفترة الحالية (روسيا الاتحادية) نحو هذه البقعة الجغرافية الإستراتيجية بالنظر لقربها من الحدود الإقليمية الروسية، غير أن النفوذ الغربي في الجزيرة شكل عقبة أمام تغلغل النفوذ الروسي، فكان على الروس إيجاد البدائل المناسبة للنفاذ إلى الجزيرة، وكان لهم ذلك من خلال الهيمنة على مقدرات الكنيسة الارثذوكسية القبرصية التي تعد الكنيسة الارثذوكسية الروسية مرجعيتها الدينية، فضلا عن التغلغل اقتصاديا في شؤون جزيرة بأمل الحصول على ما يمكن لموازنة النفوذ الغربي.

مقدمة

حظيت جزيرة قبرص بموقع استراتيجي متميز جعل منها مكانا مهما لاستقطاب القوى العظمى على اختلاف مصالحها، وشكلت روسيا واحدة من الدول التي لها مصالح واسعة فيها ليس فقط باعتبارها دولة عظمى بل لوجود عامل جوهري مكن الروس من توجيه الأداء القبرصي بالقدر الذي يلامس مقتضيات مصالحهم، هذا العامل تمثل في المحدد العقائدي الذي هيمن على السلوك السياسي القبرصي في الفترة التي سبقت الاستقلال والفترة التي أعقبته، فقد نهضت الكنيسة الارثذوكسية القبرصية بمسؤولية التخلص من السيطرة البريطانية من خلال تشكيلها منظمة عسكرية تولت القيام بالعمل المسلح ضد البريطانيين وبما أن الكنيسة الروسية هي مرجعية الكنيسة القبرصية عليه فان التأثيرات الروسية لا تبدو أمرا غير طبيعي إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن الكنيسة الروسية هي أداة رئيسية من أدوات

تنفيذ السياسة الروسية ويمثل الانتشار في حوض البحر الأبيض المتوسط احد ابرز ملامحها، فضلا عن أمر آخر يضاف لما سبق، وهو ثقل حجم الاستثمارات الروسية العاملة في قبرص وهذا ما سيحاول البحث أن يتعرض له.

ملامح النشاط الروسي تجاه جزيرة قبرص

تمهيد

الإطار التاريخي للمحدد العقائدي– السياسي الروسي المؤثر في قبرص

بعد سقوط القسطنطينية (زعيمة المسيحية الارثذوكسية آنذاك) بيد العثمانيين عام 1453م، أعلنت بطريركية موسكو أنها الوريث الشرعي لزعامة الكنيسة الارثذوكسية وليس هناك من وريث بعدها، وتطلع السلافيون إلى القيصر الروسي منذ عهد بطرس الأكبر(1682– 1725) م على أنه رأس الكنيسة الروسية وتبعا لذلك بدأت روسيا تتدخل في الشؤون الدولية بذريعة حماية المسيحيين الارثذوكس[1].

تعد الكنيسة في روسيا أداة فاعلة لتنفيذ السياسة الحكومية، ونظر إليها القياصرة الروس على أنها امتداد لأجهزة الحكومة، فالكنيسة الروسية هي كنيسة دولة، ويلاحظ انه كلما تعرض النفوذ الروسي للضعف لجا الروس إلى المحدد العقائدي كوسيلة فعالة للعمل على تثبيت نفوذهم وتحقيق مصالحهم ومن هنا جاء التغلغل في جزيرة قبرص كما هو الحال في منطقة البلقان كمحاولة من جانب روسيا لترسيخ نفوذها في هذه الأرجاء بدلا من النفوذ العثماني[2].

تعود محاولات التوسع الروسي في الأراضي القبرصية إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر عندما طلبت روسيا السماح لها بإرسال أسطولها إلى البحر الأبيض المتوسط بذريعة مكافحة القرصنة[3]، لكن بريطانيا اعترضت على المطلب الروسي ونظرت بقلق إلى ذلك الأمر، لان الأسطول الروسي سيحتاج إلى قاعدة بحرية للمرابطة فيها ورجح البريطانيون أن تكون قبرص هي المكان الذي يخطط الروس للاستيلاء عليه[4] مما لفت أنظار الانكليز إلى الأهمية الاستثنائية لموقع الجزيرة من ناحية قربها من قناة السويس فضلا عن كونها قاعدة لمراقبة السياسة التوسعية الروسية في الشرق الأدنى[5]، ونجحت بريطانيا في عقد اتفاق عام

1878م مع الدولة العثمانية تم بمقتضاه تنازل الأخيرة عن قبرص لصالح البريطانيين ومن هنا اخذ النفوذ الروسي في قبرص طابعا مذهبيا عبر الهيمنة على الكنيسة القبرصية على اعتبار أن مرجعيتها هي الكنيسة الروسية، ولعل هذا ما يفسر كيف أن الكنيسة القبرصية وبتأثير النفوذ (السوفييتي) آنذاك تولت مسؤولية بدء العمل لأجل إخراج القوات البريطانية بالقوة المسلحة من قبرص بدءً من عام 1931م[6].

تطور الأمر عام 1952م والذي شهد متغيرا مهما في هذا السياق حيث أوعزت الكنيسة القبرصية بتشكيل تنظيم مسلح عنوانه (المنظمة القومية للمقاتلين القبارصة) هدفه التخلص من السيطرة البريطانية ووضعت كل موارد الكنيسة تحت تصرف هذه المنظمة والتي سميت فيما بعد بـ (الجبهة الوطنية)[7]، وبرز النفوذ الروسي تحت مظلة دعم حركة التحرر الوطني القبرصي ورفض التدخل الامبريالي في شؤونها وبعد استقلال قبرص عام 1960م كان المظهر الأبرز للنفوذ الروسي من خلال الحزب الشيوعي القبرصي ذو القاعدة الشعبية الواسعة والذي تحرك لدعم حكم الرئيس القبرصي (كبير الأساقفة مكاريوس– MAKARIOS / 1960 – 1977)، بعدما بدا وان السلطة في الجزيرة إذا ما تغيرت فإنها ستتجه نحو الغرب حيث أراد الروس اقتناص الفرصة لتثبيت نفوذهم وتعزيزه على أمل التغلغل في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط وتفكيك الجناح الجنوبي الشرقي لحلف شمال الأطلسي[8].

المحدد الإستراتيجي

استند الفكر الاستراتيجي الروسي في الحقبة السوفييتية (1917– 1991)م على مفهوم العقيدة العسكرية التي تمت صياغتها في ضوء الإستراتيجية السياسية للحزب الشيوعي السوفييتي وجاء في بعض مضامينها تبني المفهوم العالمي للأمن والذي يمتد خارج الحدود المباشرة للأراضي الروسية، وفي منتصف الثمانينيات من القرن العشرين ظهرت بعض المبادئ التي تناقض الإستراتيجية المشار ليها مثل التأكيد على أولويات الأدوات السياسية لتعزيز الأمن القومي[9]، ومع تفكك الاتحاد السوفييتي في العقد الأخير من القرن الماضي جاءت مرحلة جديدة في النظام الدولي أشرت تراجع القطبية الثنائية بصفحتها الأيديولوجية وتسيد الولايات المتحدة عالميا فكان التساؤل المطروح بقوة هو أين الروس في هذا النظام العالمي؟

بعد تفكك الاتحاد السوفييتي عام 1991م، حاولت روسيا أن تظهر كقوة عظمى وريثة للاتحاد السوفييتي، وكانت هذه المحاولة تبدو طبيعية إلى حد بعيد بالنسبة لدولة كانت تعد أقوى منافس للولايات المتحدة تقريبًا في المجالات العسكرية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية حول العالم، لكن تدهور الأوضاع الداخلية في روسيا بعد عام 1991، وتراجع دورها العالمي، دفع الولايات المتحدة للنظر إلى روسيا الجديدة في مرحلتها الانتقالية على أنها سوق هائلة مستقبلا للاستثمارات الأمريكية ولم تبخل عليها بالمعونات الاقتصادية، التي قبلها الرئيس الروسي بوريس يلتسين (1992–2000)، لكن الشعب الروسي عدها بمثابة إهانة لبلاده، التي يعتقد أنها مازالت قوة كبرى مؤثرة على الساحة الدولية[10].

حاولت السياسة الخارجية الروسية في المرحلة التالية لتفكك الاتحاد السوفييتي الحيلولة دون انفراط عقد الدول السوفيتية السابقة، ولو بصورة جزئية ولكن تدهور الأوضاع الاقتصادية والعسكرية والسياسية، أدى إلى تراجع دور روسيا وعجزها عن تحدي الولايات المتحدة، التي بدأ نفوذها يتزايد في الجمهوريات السوفيتية السابقة ودول أوربا الشرقية[11]. صحيح أن روسيا مازال لها دور عالمي وإقليمي مهم، لكن هذا الدور لا يعتقد أنه يشكل امتدادا للنفوذ السوفييتي. ومع ذلك، فإنه يمكن لروسيا في ظل هذه الظروف أن تجد لنفسها دوراً إقليميا ودوليا متزايدا كلاعب رئيسي بتكلفة أقل من تلك التي كان يدفعها الإتحاد السوفييتي، فقد تكبد هذا الأخير ثمناً باهظاً للحفاظ على مكانته كقطب عالمي، ولم يستطع توظيف مكانته الدولية ونفوذه العالمي لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية، بل على العكس فقد تحمل أعباء اقتصادية هائلة للحفاظ على وضعيته العالمية كقطب منافس للولايات المتحدة، ويعتقد المسؤولون الروس أن وجود عالم متعدد الأقطاب يشكل بيئة اقتصادية ملائمة لتحقيق المصالح القومية لروسيا، وتدعيم مكانتها الإقليمية والعالمية[12].

إن الإستراتيجية الروسية في الحال الحاضر وفي المستقبل تستند على الأرجح على تحقيق مصالح الدولة القومية للروس، ويمكن القول أيضاً إن الإستراتيجية الروسية في المرحلة الراهنة تقوم على تعزيز البناء الداخلي لروسيا وتحديثها وإشاعة أجواء الاستقرار فيها، وفي الخارج تتحدد في إقامة علاقات روسية أوروبية على حساب العلاقات الأوروبية الأمريكية وعلاقات روسية آسيوية (الصين–إيران–الهند) على حساب النفوذ الأمريكي، وفي كل ذلك لا تغيب

عينها عن محاولة ملء الفراغ الاستراتيجي حول روسيا الحالية والحد من محاولات الأمريكيين والأوروبيين لحصارها في محيطها الحيوي[13]، وتمثل منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط إحدى أهم المناطق الحيوية بالنسبة للروس الذين يرون بان مصالحهم القومية توجب عليهم أن يكون لهم نفوذا في جزيرة قبرص لموازنة النفوذ الغربي فيها بالنظر لكونها بوابة منطقة شرق المتوسط، فضلا عن الخطط الروسية القديمة لإنشاء قاعدة بحرية في الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط مما يتيح لروسيا الدخول إلى المجال الحيوي لجنوب وغرب أوروبا[14]. ويرى بعض المفكرين الاستراتيجيين أن القواعد البحرية بدأت تفقد قيمتها الإستراتيجية على اعتبار أن المناطق والأقاليم التي تقع فيها هذه القواعد يمكن أن تكون أهم من القواعد ذاتها ولكن الأمر قد لا ينطبق على وضع قبرص بحكم التنافس الشديد للهيمنة عليها بين الروس والغرب مما منحها أهمية استثنائية بحيث بدا واضحا أن من يملك زمام الأمور في الجزيرة تتوفر له إمكانية التأثير بمنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط[15].

بناء على ما تقدم فقد ركزت الإستراتيجية الروسية جهودها في هذا الاتجاه ويمثل إعادة إحياء نفوذ روسيا في قبرص احدث الخطوات في هذا الاتجاه لتركيز نفوذها في هذه الجزيرة وتمثل عودة الأسطول الروسي إلى المياه المتوسطية، تحدياً مباشراً للأسطول السادس الأمريكي الذي يجوب هذه المياه ويفرض سيطرته على حركة الملاحة فيها[16].

في هذا السياق ترى روسيا أن مصالحها توجب عليها دعم القبارصة اليونانيين نظرا لان تركيا العضو في حلف شمال الأطلسي تدعم القبارصة الأتراك وان تعميق الانقسام في داخل قبرص يساعد في إذكاء النزاع التركي– اليوناني الأمر الذي يعزز مصالح الروس في إضعاف النفوذ الأطلسي لصالحهم فضلا عن أن المصلحة الروسية تكمن في أن تكون السيادة في قبرص للقبارصة اليونانيين، لأن التغلغل الروسي في هذه البقعة الجغرافية من شرق البحر الأبيض المتوسط نحو منطقة الشرق الأوسط، كان ولا يزال هدفاً تسعى له روسيا[17]، ويورد الروس في تفسيرهم لتواجد أساطيلهم في المتوسط، أنه يأتي في سياق العمل على حماية الأمن القومي الروسي من أي طارئ يفد من منطقة البحر الأبيض المتوسط، أو ما يُعرف بالخاصرة الرخوة لأوروبا. بيد أن حجم ونوعية التواجد الروسي المزمع ، دفع المحللين في الغرب للنظر إلى هذا التواجد باعتباره خطوة تتجاوز اعتبارات الأمن القومي الروسي لتلامس مسعى دؤوباً

تنهض به روسيا لإعادة تثبيت أقدامها في المنطقة في إطار رؤية أوسع مدى لحرب المصالح في الساحة الدولية[18]. إن هذا الوضع ذلك يعبر عن دلالتين:

الأولى، السعي إلى التواجد مرة أخرى في ذلك الجانب من الوطن العربي والذي يقع على امتداد الساحل الشرقي و الجنوبي للبحر المتوسط.

الثانية، أن وجود روسيا في هذا النطاق العربي المتوسطي يتيح لها استكمال دائرة التمركز حول القارة الأوروبية من شرقها إلى غربها، ومن جنوبها إلى شمالها باعتبار أن المياه المتوسطية هي نطاق وسيط بين البحرين الأسود والبلطيق[19]، وحسب الدلالتان المشار إليهما فان موقع قبرص الجغرافي يحتم وجود نشاط روسي فاعل فيها وفي منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، تفرضه اعتبارات حماية المصالح الإستراتيجية الروسية، فضلا عن الدور الذي تلعبه روسيا وان كان متواضعا في حفظ الأمن والسلم العالميين باعتبارها لا تزال دولة كبرى، وعضو دائم في مجلس الأمن الدولي[20]. وبالنظر إلى محيط تحرك الإستراتيجية الروسية فإنه يمكن القول بأنها الإستراتيجية التي لا تزال قريبة مبادئ تسعينيات القرن الماضي والتي تقضي بعدم المواجهة مع الغرب قدر الإمكان، ويظهر التاريخ أن تغيير الأسلوب في السياسة الخارجية لدولة ما يمكن أن يصب في خانة التغيير الاستراتيجي، هذا الوضع الجديد– بغض النظر عن النوايا أو الرغبات أو الطموحات– في روسيا، هو الوضع الحقيقي لروسيا التي رأت في تراجع بعض ملامح القوة الأمريكية ضوءاً اخضراً للاستعداد للعودة إلى سياستها الإمبراطورية السابقة[21].

أن الإستراتيجية الروسية بهذا الوصف ليس أمامها سوى الانتقال إلى إستراتيجية إقليمية وأن روسيا بحاجة ماسه لتهدئة الصراعات الخارجية إلا ما يرتبط منها بعوامل تنهك القطب الأوحد (الولايات المتحدة) في العالم شرط عدم الانغماس الروسي فيها وأن المطلوب بناء أسس الدولة القومية وإصلاح الوضع الاقتصادي وأن الدور الروسي الجديد الذي تسمح به القدرات الإستراتيجية للبلاد هو في حدود المحيط الإقليمي الآسيوي والأوروبي وأن أهم عوامل التغير في الإستراتيجية الروسية هو في تركيزها على المحيط القريب، كما أن بناء الدولة القومية الروسية يتطلب المحافظة على قدر هامشي من أشكال الحرب الباردة وإن

اختلف شكلها وأدواتها وطرق معالجتها بهدف تحقيق المصالح القومية وليس الصراع الدولي[22].

أن التحرك في الفراغ الإستراتيجي المحيط بروسيا يتطلب درجة من التفاهم مع أمريكا وأوروبا دون إهمال الاستعداد لمرحلة ما بعد انهيار المقدرات الإستراتيجية الغربية، وقد انعكست ملامح هذا التصور في التحركات الروسية، فقد اهتم الروس بتوثيق العلاقات مع الصين والهند وبنفس الوقت توجهوا نحو أوروبا وحلف شمال الأطلسي، وعلى الرغم من مواصلة دعمهم لصربيا الارثذوكسية حليفهم التقليدي إلا انه لم يرتق إلى درجة الصدام مع الأمريكيين والأوروبيين، الذين رسخوا قناعة لدى الروس مفادها، الرغبة في فرض القيم الغربية على العالم الشرقي[23]، ورغم مصالحهم الاقتصادية الواسعة في الجزء الجنوبي من جزيرة قبرص، إلا أن الروس بدأوا يتعاملون بايجابية مع الجزء الشمالي من الجزيرة، والذي تدعمه تركيا الحليف المهم للولايات المتحدة الأمريكية، والعضو في حلف شمال الأطلسي.

المحدد الاقتصادي

حرصت روسيا خلال الفترات التاريخية على تعزيز وجودها ومكانتها الإقليمية والدولية لمواجهة النفوذ الغربي المتزايد في محيطها الإقليمي، من خلال تدعيم علاقاتها بالعديد من الدول المرشحة لكي تكون قوى عظمى على الساحة الدولية مثل الصين والهند وبعض دول الاتحاد الأوروبي، وبما أن روسيا، تعتبر منطقة البلقان مفتاح أمنها، وهي بالتالي تضمن لها مخرجاً يوصلها إلى المياه الدافئة، ومجالاً حيوياً لضواحيها الجنوبية في حال قيام أي اعتداء خارجي، فقد حاول الروس السيطرة على هذه المنطقة، إلا أن تراجع القوة الروسية عالميا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، حال دون ذلك[24]، وفي هذا السياق تحدث الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين (2000-2008)م عن تفكك الاتحاد السوفييتي باعتباره كارثة كبرى، أدت إلى تراجع روسيا عن دورها والتزاماتها تجاه البلدان التي كانت تحظى بدعمها على نحو أتاح الفرصة للغرب للتدخل في الشؤون الداخلية لها، وبرزت في هذا الإطار الأهمية الاقتصادية إلى جانب الأهمية الإستراتيجية لجزيرة قبرص، فضلاً عن الاعتماد الاقتصادي الكبير للجمهوريات السوفييتية السابقة على روسيا كأكبر شريك تجاري لها، مما يؤكد استمرار النفوذ الروسي القوي في هذه البلدان لسنوات قادمة بعد أن فقد الروس

هيمنتهم الفعالة في البلقان[25]، وقدر تعلق الأمر بقبرص، فقد حاولت الدولة الروسية أن تمسك بمقدراتها الاقتصادية حيث تقوم مؤسسات الأعمال الروسية بالاستثمار في الخارج لأسباب شتى، من بينها تعزيز أوضاعها في السوق العالمية ، والتوسع في الأسواق العالمية، بغية تحسين قدراتها التنافسية، وأدى ذلك الانفتاح إلى تيسير الاستثمار الروسي المباشر المتجه إلي الخارج، وهو ما دفعت إليه أيضا رغبة المؤسسات المشار إليها، في تنويع أنشطتها الخارجية، ولعب القرب الجغرافي والروابط التاريخية دورا فاعلا في التركيز على مناطق استثمارية معينة دون غيرها (كما في حالة قبرص)، حيث تقوم تكتلات كبيرة من مؤسسات الأعمال الخاصة، فضلا عن مؤسسات الأعمال المملوكة للدولة بمعظم الاستثمار الروسي المتجه إلى الخارج[26].

شهد عام 1990م تدفقا للأموال الروسية نحو قبرص بفعل عامل الأمان في النظام المصرفي القبرصي، إلى جانب اليد العاملة الرخيصة في تسهيل عملية جني أرباح وفيرة وبالتالي عمل على تضخم رؤوس الأموال الروسية المستثمرة في الجزيرة[27].

تجسدت تنمية العلاقات الاقتصادية بين روسيا الاتحادية وقبرص في الزيارة التي قام بها رئيس جمهورية قبرص إلى جمهورية روسيا الاتحادية في تشرين الأول 1991م ومباحثاته مع الرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسين (1992 – 2000)م حول مبادئ التعاون الاقتصادي المشترك بين الحكومتين[28].

في آذار 1994م، تم الاتفاق بين الحكومتين الروسية والقبرصية على التعاون في مجال السياحة وفي حزيران 1995م، تم الاتفاق على إلغاء متطلبات التأشيرة لمواطني روسيا الاتحادية وقبرص، وفي نيسان 1997م، تم الاتفاق على تشجيع وحماية الاستثمارات المتبادلة والمشتركة بين الجانبين، كما اتفق البلدان فيما بعد على اعتماد الاتفاقية الضريبية النموذجية لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية لتبادل المعلومات، التي تشمل تبادل المعلومات المصرفية والتي من شأنها إتاحة تبادل المعلومات المصرفية بطريقة منظمة وفقا للأحكام ذات الصلة وهي سارية المفعول اعتبارا من تموز 2007م[29].

في الوقت الحاضر هناك نحو 3 آلاف شركة مسجلة في قبرص من جانب رجال الأعمال الروس (ينشط حوالي 500 منهم في العمليات التجارية). وتنشط الشركات الروسية في القطاعات الآتية:

إنتاج معدات التكنولوجيا المتطورة
استخدام مصادر الطاقة المتجددة
الاتصالات السلكية واللاسلكية
والسياحة والتعليم العالي والخدمات الصحية التعليم
خدمات الأعمال
الشحن
التجارة العامة
مشاريع البنية التحتية
ويلاحظ أن الشركات الروسية في قبرص تستفيد من المزايا التي تتمتع بها الجزيرة وأهمها:

ارتفاع المستوى التعليمي لقوة العمل، والتنوع في استخدام التكنولوجيا الجديدة.
التحسين المستمر لبنيتها التحتية في مجالات النقل والطاقة والاتصالات الجودة العالية في الخدمات الاستشارية والقانونية والمحاسبة.
الظروف المواتية لمناخ الأعمال المرتبطة مباشرة بالاستقرار الاقتصادي[30].

أما في مجال الاستيراد والتصدير فقد شكل النفط الخام حوالي 75٪ من إجمالي قيمة الصادرات الروسية إلى قبرص فضلا عن المكائن الثقيلة والأدوات، والثلاجات، واسطوانات الغاز، والكابلات والمحولات الكهربائية والسيارات، فيما توفر قبرص تقليديا لروسيا الملابس والأحذية، والحمضيات والمشروبات أما عمليات إعادة الاستيراد وإعادة التصدير الروسية فانه ينفذ بما مجموعه حوالي 75٪ عبر الجزيرة[31].

أما في المجال المصرفي فقد قام البنك المركزي في روسيا وابتداء من أيار 1998م بإصدار الاذونات المصرفية للمصارف في قبرص، وفي تموز من نفس العام، تم التوقيع على مذكرة التفاهم في مجال الرقابة على البنوك بين مصرف روسيا المركزي والمصارف القبرصية، فضلا عن مراقبة العوائد المالية لرجال الأعمال الروس الذين لجأوا إلى الجزيرة تهربا من الضرائب[32]. وتستخدم بعض شركات النفط الروسية جزيرة قبرص كمكان مفضل لعقد الصفقات التجارية ولتفادي الضرائب والحفاظ على سرية عوائدها المالية خصوصا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي ولأجل ذلك فقد تم تشكيل لجنة خاضعة لحكومة روسيا الاتحادية لمراقبة

سوق الأوراق المالية القبرصي تكون مهمة هذه اللجنة الكشف على الإعفاءات الضريبية المفيدة لأصحاب الشركات الروسية المسجلة في قبرص وهذا يعني بشكل أو بآخر أن السلطات الروسية لديها معرفة حول من يسيطر على الأموال المارة عبر البنك المركزي القبرصي(33).

شهدت العلاقات الاقتصادية بين الجانبين تطورا ملحوظا فعلى سبيل المثال وصل حجم التبادل التجاري بين البلدين في عام 1998م إلى نحو 500 مليون دولار وفي العام 1999م، وصل إلى حوالي 742 مليون دولار، وهو ما يمثل 4.5٪ من مجمل التجارة الخارجية للجزيرة(34).

توسع الروس في علاقاتهم مع قبرص من خلال التعاقد مع الشركات الروسية والمحامين والمحاسبين، وشراء المساكن واستئجار المكاتب والاستثمار في أسواق الأسهم القبرصية فضلا عن أعداد كبيرة منهم تقطن الأراضي القبرصية، وابتداء من عام 1991م نلاحظ أن هناك نشاطا روسيا واضحا من خلال تأسيس الشركات التجارية الروسية وشراء المساكن الفخمة في الجزيرة(35).

حقيقة أن روسيا الاتحادية الآن هي واحدة من أهم الشركاء الاقتصاديين بالنسبة لقبرص فهناك حوالي 500 مليون دولار استثمرها القبارصة في روسيا خلال الستة أشهر الأولى من عام 2008 م مقابل حوالي 80 مليون دولار استثمرها الروس في قبرص خلال الفترة نفسها. وأخيرا، فإن قطاع السياحة في قبرص قد استفاد كثيرا من هذا البلد، حيث فضل العديد من الروس اختيار قبرص كمكان لقضاء عطلاتهم، حيث زار قبرص في الأشهر الأولى من عام 2008م ، حوالي 171000 سائح روسي(36).

خاتمة

اكتسب النشاط الروسي في جزيرة قبرص بعدا تاريخيا نظرا للموقع الحيوي الهام الذي تتمتع به الجزيرة، وبناء على ذلك فقد تكررت المحاولات الروسية للهيمنة على مقدرات الأمور أو الحصول على موطئ قدم فيها على الأقل.

استخدم الروس عدة أساليب في إستراتيجيتهم المشار إليها، فعلى سبيل المثال نلاحظ مساعيهم الهادفة لإنزال أسطولهم البحري في مياه البحر الأبيض المتوسط في الربع الأول من

القرن التاسع عشر كمقدمة لتغلغلهم في أراضي الجزيرة تمهيدا للسيطرة على المياه المتوسطية لكن طموحاتهم اصطدمت بمعارضة بريطانية قوية أعاقت خططهم فتنبه الانكليز لهذا الأمر وتمكنوا من الحصول على الجزيرة من العثمانيين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

كرر الروس محاولاتهم مستغلين البعد العقائدي المتمثل باحتفاظهم بالزعامة الروحية للعقيدة الارثذوكسية، ولما كانت الكنيسة الارثذوكسية الروسية هي كنيسة دولة بمعنى أنها خاضعة لنفوذ السلطة، عليه فقد استغل الروس ذلك الأمر فعهدوا إلى الكنيسة الارثذوكسية القبرصية– الخاضعة لزعامة الكنيسة الارثذوكسية الروسية– بمهمة تنظيم وقيادة عملية طرد القوات البريطانية من قبرص وتم ذلك فعلا حيث حصلت الجزيرة على استقلالها من بريطانيا عام 1960م، لكن هذه الأخيرة أصرت على الاحتفاظ بقاعدتين إستراتيجيتين في الجزيرة، وحاول الأمريكيون لاحقا مد نفوذهم من خلال القاعدتين البريطانيتين المشار إليهما.

بعد تفكك الاتحاد السوفييتي (1991)م، أرادت روسيا الاتحادية تقديم نفسها على أنها وريثة الاتحاد السوفييتي السابق قدر تعلق الأمر بمناطق النفوذ الروسية التقليدية، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية بدت وكأنها المهيمنة على الجزيرة مستغلة تراجع وانحسار منافسها الروسي.

وفي مواجهة ذلك كان على الروس إيجاد منفذ يمكنهم من العودة إلى الجزيرة فنجحوا في استغلال العامل الاقتصادي والتجاري في الاتفاقيات المعقودة أو المبرمة بين جمهورية قبرص، وبين الاتحاد السوفييتي السابق حيث تم استئناف تنفيذ تلك الاتفاقيات في المجالات الاقتصادية كافة، فبدا وان الحياة الاقتصادية والتجارية والسياحية تشهد حضورا روسيا قويا وواضحا.

حقيقة أن الجزيرة شهدت سابقا ولا تزال تنافسا قويا وشديدا بين النفوذ والمصالح الغربية، وبين النفوذ والمصالح الروسية، وليس بالإمكان تحديد الجانب الذي ستؤول إليه الغلبة في الهيمنة، وربما قد لا يكون من هو ظافر في النهاية على الأرجح، لان الجزيرة تقع في منطقة لا تحتمل تفردا دوليا من قطب واحد فحسب، بل تفرض توازنا على مستوى النفوذ والمصالح الدولية. وعلى الرغم من أن هناك قوات عسكرية مرابطة على أراضي الجزيرة

متعددة الولاءات، فضلا عن الأساطيل البحرية العسكرية التي تجوب المياه المتوسطية والـتي تخلق مناخا تنافسيا هائلا لأجل حماية مصالح بلدانها السياسية والاقتصادية، إلا أن فـرص تطور هذا التنافس باتجاه الاشتباك تبدو بعيدة الآن على الأقل لان الحرب إذا مـا بـدأت في هذه البقعة الجغرافية المتوترة، فليس بالإمكان السيطرة عليها.

Russian activity in Cyprus after the Cold War

Waleed Mahmoud Ahmed
Assistant Lecturer / Department of Political and Strategic Studies Regional Studies Centre / University of Mosul

Abstract

The island of Cyprus had Attracted for with interest the great powers, especially in the nineteenth and twentieth, Ce, making it an arena for conflict influence the regional and international levels. It was natural to move Russian policy during the Tsarist and Soviet period, and then the current period (Federal Russia) towards this area geo-strategic view of the proximity of the border, regional Russian, but the Western influence in the island form an obstacle to the penetration of Russian influence, was on the Russians to find suitable alternative for access to the island, and they have been through the master of its own

Orthodox Church of Cyprus which is the Russian Orthodox Church religious authority, as well as economic penetration in the affairs of the island in hopes of what can be to balance Western influence.

المصادر والهوامش

(1) هـ. أ. في نشر: تاريخ أوروبا في العصر الحديث (1879-1950م)، تعريب: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، (القاهرة: د. ت)، ص 119.

(2) للتفاصيل ينظر: القياصرة والكنيسة الارثذوكسية، منشور على الموقع الالكتروني:

http://mb-soft.com/believe/belieara.html

(3) أميل خوري وعادل إسماعيل : السياسة الدولية في المشرق العربي، (1789- 1958)، جـ 2 (بيروت: 1960)، ص 15.

(4) محمد مصطفى صفوت: محاضرات في المسالة الشرقية (القاهرة: 1958)، ص12.

(5) محمد رفعت بك: التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط، (القاهرة : 1949)، ص57.

(6) Necati Ertekun : The Cyprus dispute & the birth of the Turkish Republic Northern Cyprus , (London: 1984), p2 .

(7) Nancy Crawshaw : The Cyprus Revolt (London: 1978), p114 .

(8) Robert Stephens: Cyprus-A place of Arms, (London: 1966), p200.

(9) محمد أسامة محمود عبدالعزيز: السياسة الدفاعية الروسية في بداية القرن الحادي والعشرين، مجلة السياسة الدولية، العدد (142)، تشرين الأول (2000)، ص247.

(10) نبية الأصفهاني: المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الروسية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (142) ، تشرين الأول (2000)، ص 173 .

(11) جيلبير أشقر: الناتو يغزو أوروبا الشرقية، منشور على الموقع الالكتروني لوكالة الأخبار الإسلامية في 19 تشرين الثاني 2008 .

(12) عبدالله صالح : مستقبل السياسة الخارجية الروسية ، منشور على الموقع الالكتروني:
http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con

(13) طلعت رميح: إستراتيجية بوتين – روسيا من دولة عظمى إلى دولة إقليمية منشور على الموقع لالكتروني: http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-14-1483.htm

(14) نعيم قداح :حوض المتوسط والأمن الروسي،منشور على الموقع الالكتروني:
http://thawra.alwehda.gov.sy/_print_veiw.asp?FileName=

(15) محمد رياض: الأصول العامة في الجغرافية السياسية مع دراسة تطبيقية على الشرق الأوسط، (بيروت: 1979)، ص 101.

(16) حسام كنفاني: روسيا في البحر المتوسط، منشور على الموقع الالكتروني:
http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=18807&pg=2

(17) توفيق المديني : التغلغل الروسي في قبرص ، منشور على الموقع الالكتروني :
http://www.intiqadonline.com/archive/2004/3004/int/doc5.htm

(18) عبدالجليل زيد المرهون: روسيا تعود إلى البحر المتوسط ، منشور على الموقع الالكترونيhttp://www.alriyadh.com/2008/03/28/article329870.htm

(19) نعيم قداح، المصدر السابق.

(20) الوجود العسكري الروسي في البحر الأبيض المتوسط قرار استراتيجي، تقرير إخباري منشور على الموقع الالكتروني :
http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task

(21) يوشكا فيشر: تعديل مسار السياسة الخارجية الروسية يصب في خانة التغيير الاستراتيجي، منشور على الموقع الالكتروني:
http://www.globalpolicy.org/nations/launder/regions/2003/0623russia

(22) طلعت رميح، المصدر السابق.

(23) للتفاصيل ينظر: عزت إبراهيم: الارثذوكسية وحلف الناتو – اختبار أولي لنظرية صراع الحضارات، مجلة السياسة الدولية، العدد (137)، تموز (1999)، ص128.

(24) لطفي المعوش : مصالح الدول الكبرى في منطقة البلقان ، منشور على الموقع الالكتروني :
http://www.lebarmy.gov.lb/PrintArticle.asp?id=4362

(25) عبدالله صالح، المصدر السابق .

(26) محمد عبدالهادي:الاستثمارات الروسية الخارجية، منشور على الموقع الالكتروني:
http://ik.ahram.org.eg/IK/ahram/2007/4/2/BARI2.HTM

(27) Jeremy Kyle : Russia & Cyprus , U. N ,Global Policy Forum
منشور على الموقع الالكتروني :
http://www.globalpolicy.org/nations/launder/regions/2003/0623russia

(28) Relations between Russia & Cyprus
منشور على الموقع الالكتروني : http://www.cyprus.mid.ru/en/ru_cy.htm

(29) العلاقات الروسية – القبرصية والأمن الأوروبي ، تقرير منشور على الموقع الالكتروني:
http://www.rtarabic.com/news_all_news/22529

(30) Cyprus - Russia Associations
كلمة وزير التجارة الروسي في ملتقى رجال الأعمال الروس، منشور على الموقع الالكتروني :
www.mof.gov.cy/.../SPEECH%20TO%20THE

(31) Relations between Russia & Cyprus , Op.Cit

(32) Anthony Lobaido: Cyprus – The Divided Land
منشور على الموقع الالكتروني :
http://www.worldnetdaily.com/news/article.asp?ARTICLE_

(33) : Jeremy Kyle , Op.Cit.

(34) روسيا الاتحادية: حقائق ووقائع، منشور على الموقع الالكتروني:
http://ar.rian.ru/analytics/articles/20070809/70744733.html

(35) Relations between Russia & Cyprus , Op. Cit.

(36) Cyprus - Russia Associations, Op. Cit .